الفلسفة في الأندلس والموقف العام منها

Philosophy in Andalusia and the general attitude towards it

إعداد

د.خالد بن ناصر آل حسين

DR. KHALID NASER ALHOSIN

الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة – كلية أصول الدين -

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

Doi: 10.21608/jasis.2024.335929

استلام البحث ٢ / ١١ / ٢٠٢٣

قبول البحث ١٢ / ١١ / ٢٠٢٣

آل حسين، خالد بن ناصر (٢٠٢٤). الفلسفة في الأندلس والموقف العام منها. ***المجلة العربية للدراسات الاسلامية والشرعية***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر ، ٨(٢٦)، يناير ١٢٥- ١٥٤.

http://jasis.journals.ekb.eg

الفلسفة في الأندلس والموقف العام منها

المستخلص:

يتحدث عن قضية فكرة الفلسفة ودخولها للاندلس وموقف العلماء والحكام والعامة منها ، وبيان أنها مسألة غريبة على الحس الإسلامي الأندلسي المحافظ والمقاوم لأي أفكار أخرى خارج إطار الفقه الإسلامي علة مذهب الامام مالك بن أنس. ويناقش البحث إشكالية وقوع بعض المنتسبين للفقه والعلم الشرعي في حقل الكلام والفلسفة وتعصبهم للفلاسفة وتقديس مؤلفاتهم والسعي لنشر الفكرة الفلسفية،، وكيف تمت مقاومتهم والوقف ضد الفكرة الفلسفية من الأساس لأنها تعارض الدين حسب قولهم واعتقادهم

Abstract:

He talks about the issue of the idea of philosophy and its entry into Andalusia, and the position of scholars, rulers, and the general public on it, and a statement that it is a foreign matter to the conservative Andalusian Islamic sense that resists any other ideas outside the framework of Islamic jurisprudence, the reason for the doctrine of Imam Malik bin Anas. The research discusses the problem of the fall of some of those affiliated with jurisprudence and forensic science in the field of speech and philosophy, their fanaticism towards philosophers, sanctifying their writings, and striving to spread the philosophical idea, and how they were resisted and stood against the philosophical idea from the ground up because it opposes religion according to their saying and belief.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة السلام على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[1]

[1] سورة النساء الآية (١)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[٢]

وبعد: خلق الله تعالى البشر وأنزل إليهم الكتب وأرسل الرسل ليعلموا الناس ما يجهلون ويهدوهم إلى طريق الحق ، وكان بعثهم بين حين وحين وبين فترة وأخرى ، وأنزل الكتاب الخاتم على النبي الخاتم وتكفل بحفظه تعالى ليبقى نبراساً منيراً لهذه الأمة على مر التاريخ وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وقد استمرت الأمة بالحفاظ على وحي الله واتباعه وزاغت طوائف من المسلين إلى سبلٍ شتى بعيدة عن سنن المرسلين ، ومن ذلك أهل الفلسفة الذين درسوا علوم الوثنيين الأقدمين من اليونان والإغريق والتي تقوم على تقديس العقل وإحاطته بهالة من العظمة ليكون بديلاً عن وحي الله وشرعه ، فوقعوا في مهاوي الردى وتخطفتهم الأهواء وقدسوا غير المقدس من المخلوق المربوب الضعيف العاجز ، وقالوا إن الإنسان صغير في هذا الكون وهو مع ذلك مفكر عاقل مدبر ونظروا في الأفلاك وقارنوا عظمتها بصغر الإنسان وسرعة فنائه مع طول بقائها ، وشدة سمكها وبنائها ، فزعموا أن الأفلاك عاقلة مدبرة حية ؛ لأنها أكبر من الإنسان وأطول عمراً وأشد بناء وأقوى سمكاً ، وقالوا إنها قطعاً لا تفنى ويقيناً أنها حية وحياتها كاملة من كل وجه ، فجعلوها مكان الإله وقامت مدارسهم على هذه الفكرة.

ومما يؤسف له أنه قد تبعهم كثير من الفلاسفة الإسلاميين وقلدوهم حذو القذة بالقذة ، وممن تبعهم بعض أهل الصقع الأندلسي العتيد -وهو بلد ملئ بالعلماء وأهل الدعوة والجهاد في سبيل الله - فماذا كان الموقف العام من الفلسفة وأهلها في تلك البلاد – أعادها الله- وماذا كان موقف العامة منهم وما موقف الحكام والخلفاء والأمراء من هذه الفتنة الماحقة ؟

أما العلماء فلهم مواقف مشهودة من أهل هذا العلم وسنشير في هذا البحث إلى بعض جهودهم ومواقفهم من هؤلاء الفلاسفة ، ولا تمكن الإحاطة بجميع مواقفهم إذ أن هذا يحتمل بحثاً آخر لعل الله أن يمد بقوة منه فنكتب فيه ، وأما الموقف العام للشعب الأندلسي والموقف العام للخلفاء والأمراء في الأندلس فسنوليه الاهتمام في هذا البحث –إن شاء الله-. ولا شك في أهمية مثل هذه البحوث التي نستقي منها العبر ونقف على السبل المؤدية إلى الضلالة ونستخرج منها العظات والعبر لتكون لنا ولأمتنا نبراساً نهتدي به.

[٢] سورة لقمان الآية(٣٢)

عملي في البحث:

سأتناول فيه تعريفات الفلسفة وحكم تعلمها من كلام الأندلسيين وغيرهم ، وموقف العلماء الأندلسيين من تعلمها وحكم من فعل ذلك ، وموقف العامة منها ومن أهلها ، وكيفية دخول الفلسفة إلى الأندلس وموقف الخلفاء والحكام منها.

كما سأترجم لأهم الأعلام من الفقهاء الذين كان لهم دور في الفتوى مع الفلاسفة أو مواقف معروفة أو دور في أصل الموضوع الذي يتناوله البحث.

وبما أنني أتكلم في هذه التقدمة على أهم ما سأتناوله بالبحث أود التنبيه أن الموضوع جاء في ستة فصول وخاتمة وفهارس على النحو التالي:

الفصل الأول:تعريف الفلسفة

الفصل الثاني:حكم الفلسفة

الفصل الثالث:التحذير من الفلاسفة وحكم مجالستهم

الفصل الرابع:دخول الفلسفة للأندلس وانتشارها

الفصل الخامس:الموقف العام من الفلسفة في الأندلس

الفصل السادس:موقف الخلفاء والأمراء الأندلسيين من الفلسفة

الخاتمة

الفهارس

وفي الختام أشكر الله تعالى أن من علي بالنعم الكثيرة والآلاء الوفيرة وأشكره أن يسر لي كتابة هذا البحث ، كما أشكر كل من أعانني بأي نوع من الإعانة وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

الفصل الأول

تعريف الفلسفة

لم يعرف العرب قبل الإسلام وبعده بأزمان متطاولة الفلسفة إلا بعد احتكاكهم بالأمم الأخرى ودخول كثير من الشعوب في الإسلام،،

والفلسفة **أصلها اللغوي** لفظ أعجمي يوناني اشتقت من كلمتين: فيلا سوفيا أي محب الحكمة. فالفيلسوف هو محب الحكمة[٣]

الفلسفة اصطلاحاً:

عرفت الفلسفة في حقيقتها بتعاريف عدة منها:

أنها دراسة مبادئ الأشياء وتفسيرها تفسيراً عقلياً[٤]

أو أنها دراسة المبادئ الأولى للوجود والفكر بمنطق العقل[٥]

---

[٣] انظر مفاتيح العلوم للخوارزمي ، ص ٧٩ ، لسان العرب ٢٧٣/٩ ، القاموس المحيط ، ص ١٠٦٢ ، مقدمة ابن خلدون ، ٥١٤ .

[٤] انظر المعجم الوسيط٢/٧٠٠.

[٥] انظر الموسوعة الميسرة ٢/ ٥١٤ .

وعرفها الجرجاني بأنها: « التشبه بالإله بحسب الطاقة البشرية.. »[٦]

وعليه فالفلسفة في حقيقتها التفسير المادي للأشياء والانطلاق من العقل في النظرة للأمور واستبعاد كل غيبي.

وعرفها ابن رشد بأنها: « النظر في الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع ، أعني من جهة كونها مصنوعات »[٧]

ويذهب ابن حزم الأندلسي إلى تبيين الفلسفة فيقول: «إنما معناها وثمرتها والغرض المقصود بتعلمها ليس شيئاً غير إصلاح النفس بأن تستعمل في دنياها الفضائل وحسن السيرة المؤدية إلى سلامتها في المعاد وحسن السياسة للمنزل والرعية ، وهذا نفسه لا غير غرض الشريعة»[٨] ، وهذا نظر من ابن حزم إلى التعريف بالجانب العملي من الفلسفة لا الجانب العقائدي وحقيقة أصله الفلسفي ، وابن حزم يرحمه الله من أعرف الناس بمقالات الفلاسفة كما في كتبه.

الفصل الثاني

حكم الفلسفة

تكلم العلماء قديماً في الفلسفة والجدوى من تعلمها وهل فيها مصلحة شرعية وهل هي علم أصيل في الأمة أم دخيل عليها ، ودبجوا ذلك في كتبهم وناقشوه نقاشاً مستفيضاً ، وسنتناول طرفاً من ذلك لإيضاح موقف جملة من هؤلاء العلماء في بلاد الأندلس وغيرها ، وقد حكى صاحب نفح الطيب أن الزنديق عند الأندلسيين هو الفيلسوف[٩] ، وفي هذا إشارة إلى رمي الفلاسفة بالزندقة والردة عن الدين.

وقد حكم العلامة ابن جبير الأندلسي[١٠] بضلال الفلاسفة وبعدهم عن الشريعة بقوله:

قد ظهرت في عصرنا فرقة ظهورها شؤم على العصر
لا تقتدي في الدين إلا بما سن ابن سينا وأبو نصر

وقال متهماً إياهم بنبذ الشرع:

يا وحشة الإسلام من فرقة شاغلة أنفسها بالسفه
قد نبذت دين الهدى خلفها وادعت الحكمة والفلسفة[١١]

---

[٦] انظر التعريفات ، ص ٢١٦

[٧] انظر ابن رشد في كتاب فصل المقال ، ص٩٩

[٨] انظر الفصل لابن حزم ، ص٩٤

[٩] انظر نفح الطيب ٢٢١/١

[١٠] هو العلامة صاحب الرحلة أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير بلنسي ولد سنة ٥٤٠هـ ، كان عالما فقيها متفنناً اديباً شاعراً .وتوفي سنة ٦١٤هـ (انظر شذرات الذهب ٦٠/٣-٦٣ ، سير أعلام النبلاء ٤٥/٢٢ ، معرفة القراء الكبار ٦٠٤/٢ ، ٦٥٨)

[١١] انظر نفح الطيب ٣٨٥/٢

وقال في رميهم بالإلحاد:

ضلت بأفعالها الشنيعة طائفة عن هدى الشريعة
ليست ترى فاعلاً حكيما يفعل شيئاً سوى الطبيعة[١٢]

وملخص أبيات ابن جبير أن الفلاسفة فرقة ضالة زائغة لا تتبع الوحيين القرآن والسنة ؛ لأنها ملحدة نبذت شرع الله وقالت إنه لا فاعل إلا الطبيعة ، واعتبر أن ظهورهم شؤم على أهل عصرهم.

وكذا حكم بضلالهم وشدد عليهم القاضي أبو الحسن النباهي الأندلسي[١٣] في مخاطبته للوزير لسان الدين بن الخطيب –والذي اتهم بالفلسفة وتعاطيها- فخاطبه القاضي بخطاب طويل تعرض فيه لبعض أفكار ابن الخطيب ، منها السخرية بالقدر والحكمة منه ، ومنها السخرية بالرقية الشرعية ، ومنها أن الله تعالى لا يعلم الجزئيات، ومنها السخرية بألفاظ القرآن والسنة ، ومما قاله في هذا الصدد: «..ووقعت في مكتوبكم كلمات أوردها النقد في قالب الاستهزاء والازدراء والجهالة بمقادير الأشياء ، ومنها ﴿ ريح صرصر ﴾[١٤] وهو لغة القرآن و«قاع قرقر»[١٥]، وهو لفظ سيد العرب والعجم محمد ﷺ» ، ومن ذلك: الطعن في جناب النبي ﷺ وقال مخاطباً المتفلسف:« وكذلك أحذركم من الوقوع بما لا ينبغي في الجناب الرفيع جناب سيد المرسلين وقائد الغر المحجلين صلوات الله وسلامه عليه ، فإنه نقل عنكم في هذا الباب أشياء منكرة يكبر في النفوس التكلم بها..» [١٦]

وفي مسألة الفيلسوف ابن مسرة الذي شاع أمره في الأندلس تعرض له الفقهاء وحكم عليه أحدهم بالضلال والحط عليه واتهامه في عقيدته[١٧] .

ومما تجدر الإشارة إليه قول من خبر وعرف واعتنق الفلسفة ثم تاب منها وأناب وألف في الرد عليها والتشنيع لمقالاتها في كتابه الشهير «تهافت الفلاسفة» وهو أبو حامد الغزالي ، وقد نقل عنه المقري أن الفلاسفة «لا يقطع بتكفيرهم إلا في ثلاث مسائل: قدم العالم ، ونفي العلم بالجزئيات ، وإنكار المعاد البدني وتوابعه

---

[١٢] انظر الهجاء في الأدب الأندلسي ، ص ١٤٦

[١٣] هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد المالقي النباهي ، ولد بمالقة سنة ٧١٣ هـ ، في بيت علم وفقه ، وكان فقيهاً وزيراً له تجوال في طلب العلم ، ولا يعرف له تاريخ وفاة . انظر (نفح الطيب ١١٩/٦) ، (أزهار الرياض ٥/٢) ، (نيل الابتهاج ، أحمد بابا التنبكتي ، ص ٢٠٥)

[١٤] سورة الحاقة الآية(٦)

[١٥] جزء من حديث رواه مسلم ٦٨١/٢ ، باب إثم مانع الزكاة ، رقم: ٩٨٧. وابن خزيمة في صحيحه ١٠/٤ ، رقم:٢٢٥٢ ، وابن أبي شيبة في المصنف ٤٢٨/٢ ، رقم: ١٠٦٩٩ .

[١٦] نفح الطيب ٣٨٥/٢

[١٧] انظر تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٣٢٧

القطعية»[١٨] ، وكان سبب تأليفه ما رآه من انصراف طائفة من النظار عن الإسلام وإعراضهم عن الدين جملة ، وغرضه من ذلك تبيين تهافت عقيدتهم وتناقض كلمتهم فيما يتعلق بالإلهيات[١٩] ، وهذا من البدهيات في دين الفلاسفة ، وهو حقيقة مسلم بها عند من تخصص في علوم التوحيد أن الأمور التي ذكرها الغزالي تكاد تشمل جل المتفلسفين إلا من رحم الله وقليل ما هم ، على انحراف في المنهج والديانة.

الزندقة:

يعود كل من رمى الفلاسفة بالمروق من الدين من فقهاء الأندلس إلى أقوال الفلاسفة التي صرحوا فيها بأقوال الغلو المضادة للدين وتحدي عقائد المجتمع المسلم ، وقد ذكر صاحب الغصون اليانعة طرفاً من ذلك ، نذكر منه على سبيل المثال قول أحد المتفلسفة -وهو أبو الوليد الشقندي- في شيخه الفيلسوف الذهبي البلنسي ، قال:«وأبو الوليد الشقندي من بينهم شديد الغلو فيه ، وهو أعلم الناس به لكثرة ملازمته إياه ، سمعته مرة يقول:إن الكمال الإنساني إن جمع لإنسان فإنه لم يَعْدُ ثلاثة: أرسطو وابن سينا وأبا جعفر الذهبي»[٢٠]

وتقديس أرسطو وأفلاطون من المسلمات عند جميع الفلاسفة[٢١] ، بل رفعهم فوق منزلة البشر من المرسلين والأنبياء والأولياء ، ولا غرابة في ذلك فإن أصل منابع الفلسفة الإسلامية من الإغريق[٢٢]

أما نظرة الفلاسفة للإلهيات والطبيعيات ، فقد لخصها ابن خلدون في مقدمته بأنه ينظر في الطبيعيات من حيث حركتها وسكونها ، وفي الإلهيات من حيث الوجود المطلق وما يقتضيه لذاته[٢٣] ، فالفيلسوف يعمل نظره وعقله في المكونات الطبيعية ولا يعدوها ؛ لأن الكون هو الخلاق ، بخلاف المنهج الإسلامي الذي يعمل النظر والعقل للاستدلال على مكون هذا الكون.

والمثال الذي يعتبر نبراسا لهذه العقيدة الفلسفية قصة «حي بن يقضان» للفيلسوف ابن طفيل الأندلسي[٢٤] ، هو تولد الطفل الذي نشأ في الغابة من الطبيعة واحتضنته الغزالة وكبر وأدرك حقيقة هذا الكون وقدس الكواكب وعظم شأنها

---

[١٨] نفح الطيب٥/٣٠٦ ، وانظر كذلك ابن رشد في كتاب فصل المقال ، ص١٧٦

[١٩] انظر ابن رشد في كتاب فصل المقال ، ص ١٥٢

[٢٠] الغصون اليانعة ، ص ٣٦

[٢١] انظر مقدمة ابن خلدون ، ص ٥١٥

[٢٢] انظر مجلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، بحث بعنوان: فلسفة ابن باجة ، ص ٤٠، ومما يعجب منه المرء أن كاتب البحث يثني ثناء عطراً مع وجود الطوام المهلكات فيما نقله من كلامهم .

[٢٣] انظر مقدمة ابن خلدون ، ص ٤٦٦

[٢٤] انظر ابن طفيل وقصة حي بن يقضان ، ص ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٥

وتوصل إلى السعادة الأبدية عن طريق العقل؟! ، ولكنه لا يرى بأسا أن يتبع الإنسان الفائق الفطرة ما جاءت به الأنبياء للعامة ، ولكنه يفضل على ذلك كله العبادة العقلية[٢٥] ، وهو يرى –كغيره من الفلاسفة الإسلاميين- أن الإنسان العاقل لا يحتاج إلى النبوات بل هو مستغن عنها[٢٦]، إذ أن الدين للعامة والفلسفة العقلية للخاصة[٢٧] .

فالعقل مقدس معصوم لدى الفلاسفة يقوم مقام الشرع ، وإذا أدرك العقل حقائق الأفلاك ، وأنها تتميز بأرواح علوية أعظم من البشر فقد أدرك السعادة الأبدية وعلم حقيقة الكون الأزلية ، وإذا لم يدرك ذلك فهو الشقاء السرمدي[٢٨] .

إذا فلا حدود لقوة العقل وعصمته عن الزلل لدى الفلاسفة ، والله تعالى وكذا اليوم الآخر لا حقيقة لهما ، بل الحقيقة هي الكون والسعادة الأبدية بمعرفة ماهية هذا الكون ، وهي مقام الجنة ، والشقاوة الأبدية الجهل بعلم الفلاسفة وهو النار الأبدية..

ولأجل غلو الفلاسفة الإسلاميين في هذا العلم وتقديس أساطينه رموا بالزندقة والردة عن الدين ، وممن رمي بذلك ابن باجة وابن طفيل ، بل قيل إن ابن تاشفين الأمير المرابطي هو من قتله بعد فتوى بعض الفقهاء[٢٩] ، وكذا ابن مسرة رمي بالزندقة وابن رشد[٣٠] وغيرهم ، وممن حكم بزندقة بعض المتكلمين الفقيه المحدث ابن أبي جمرة الأندلسي[٣١] إذ يقول: «..وقد كان الأكابر من فضلاء الأندلسيين من ابتدأ عندهم بهذا العلم قبل تضلعه بالعلوم الشرعية يقولون بزندقته ولا يلتفتون إليه»[٣٢] ، وهذا في حق من تعلم الكلام فكيف بمن غامر في الفلسفة وبحارها وخاض في دهاليزها وغمارها؟!

وكما تقدم آنفاً أن الأندلسيين يطلقون على الفيلسوف لقب «زنديق»[٣٣] وقد قرر كثير من الفقهاء هناك قتل الزنديق ، ومنهم فقيه الأندلس وعلامتها بقي ابن

---

[٢٥] انظر المصدر السابق ، ص ٧٤

[٢٦] انظر المصدر السابق ، ص ٨١

[٢٧] انظر المصدر السابق ، ص ٨٣ ، ٨٤

[٢٨] انظر مقدمة ابن خلدون ، ص ٥١٤ ، ٥١٥ .

[٢٩] انظر نفح الطيب ٧/ ٣٣، ٣٤ .

[٣٠] انظر تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٣٢٧ . المعجب ، ص ٣٨٤ ، ٣٨٥

[٣١] هو الشيخ الفقيه عبد الله بن سعيد بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي ، صحب مصنفات منها: جمع النهاية في بدء الخير والغاية ، مختصر في الحديث ، وله شرح حديث الإفك ، وكتاب بهجة النفوس، وهو ثلاث مئة حديث من صحيح البخاري بشرحها محذوفة الإسناد غير الرواي ، وغيرها ، توفي سنة (٦٧٥هـ) . انظر (كشف الظنون ١ / ٥٥١ ، ٥٩٩ ، ١٠٤٠)

[٣٢] بهجة النفوس ٤٣/١

[٣٣] انظر نفح الطيب ٢٢١/١

مخلد[٣٤] فيما نقله عنه الحميدي في جذوته أنه يذهب إلى أن الزنديق لا يقتل حتى يستتاب[٣٥] ، وكذا نقل هذه الفتوى ابن بشكوال أن الأمير عبد الله بن محمد شاور الفقهاء وبينهم بقي بن مخلد في قتل الزنديق[٣٦] ، ونقلها كذلك الفقيه الضبي في بغيته عن الفقيه محمد بن عبد الله بن قاسم الزاهد هذه الفتوى[٣٧] .

ومن الحوادث الشهيرة ما ذكره ابن الخطيب من قتل رجلين أحدهما شاعر والآخر فقيه اتهما بالزندقة والردة والفلسفة ، وترحم عليهما كثيرا[٣٨] –وفي هذا ما يفيد ميل ابن الخطيب إلى الفلاسفة وصدق من اتهمه بالفلسفة- وذكر أن أحد الذعرة ممن جالس الزنديق بالسجن لما أمر بالتأهب للقتل جهر بتلاوة «يس» فقال له: اقرأ قرآنك على أي شيء تتطفل على قرآننا اليوم.

الفصل الثالث

التحذير من الفلاسفة وحكم مجالستهم

تكلمنا في فصل آنف عن الشعور العام في الأندلس تجاه الفلاسفة ، وخلصنا إلى أنهم كانوا يكرهون الكلام والفلسفة ، وكل هذه الطرق المبتدعة في العقيدة ، وما هذا الشعور الجمعي العام إلا نتيجة لجهود تاريخية طويلة في مقاومة البدعة والمبتدعة منذ فجر الإسلام. وليس ذلك الشعور الكبير تجاه اتباع السنة والاستمساك بقواعد الشريعة الغراء إلا بجهود العلماء الصادقين في بلاد الأندلس في بيان خطر البدعة صغيرة كانت أم كبيرة ، وإذا كان العلماء يحذرون من المبتدع في باب فروع الشريعة ويوجبون هجرة ، فما بالك بالابتداع في أصول الدين بل الإلحاد فيها كحال الفلاسفة وأتباعهم؟!

---

[٣٤] هو حافظ الأندلس أبو عبدالرحمن بقي بن مخلد صاحب المسند والتفسير ، ولد في رمضان سنة إحدى ومائتين وكان إماما عالما قدوة مجتهدا لا يقلد أحداً ثقة حجة صالحاً عابداً أواهاً منيباً عديم النظير في زمانه ، قال ابن حزم كان ذا خاصة من أحمد بن حنبل وجارياً في مضمار البخاري ومسلم والنسائي مجاب الدعوة مات في جمادى الآخرة سنة ست وسبعين ومائتين انظر(طبقات المحدثين ١٠٣/١ ، طبقات الحفاظ / ٢٨١)

[٣٥] انظر جذوة المقتبس ١٠٤/١ ، ١٠٩

[٣٦] انظر الصلة ١٩٧/١

[٣٧] انظر بغية الملتمس ١١٩/١

[٣٨] انظر الإحاطة ١٩٢/١ ، ٢٣٨ ، وأورد أبياتاً للشاعر المقتول بتهمة الزندقة منها قوله:

فقلت اصحب سوانا فنحن قوم	زنادقة مذاهبنا فنون
ندين بكل دين غير الـــر	عاع فما به أبداً ندين
فنحن على صفوح الدهر ندعو	وإبليس يقول لنا آمين
أيا شهر الصيام إليك عنــا	ففيك أكفر ما نكون

ومن العلماء الذين حذروا من الفلسفة الإمام الباجي[٣٩] في وصيته لولديه من قراءة المنطق وكلام الفلاسفة ؛ لأن ذلك مبني على الكفر والإلحاد والبعد عن الشريعة؛ ولأنهما لم يتضلعا من العلم والمعرفة والقدرة على النظر[٤٠] .

وكذا حرم الفقيه الإمام ابن سعدي[٤١] مجالسة الفلاسفة والمتكلمين وأهل الأهواء وشدد على ذلك وأنكر على من فعله أكبر النكير ، فقد ذكر علماء التراجم بأسانيدهم أن أبا عبد الله محمد بن الفرج أنه سأله بعض أهل العلم هل حضرت مجالس أهل الكلام؟ ، فقال: بلى حضرت مرتين، ثم تركت مجالسهم ولم أعد إليها.

فقال له أبو أحمد: ولم؟ ، فقال: أما أول مجلس حضرته فرأيت مجلساً قد جمع الفرق كلها ، المسلمين من أهل السنة و البدعة والكفار من المجوس الدهرية والزنادقة واليهود والنصارى وسائر أجناس الكفر ، ولكل فرقة رئيس يتكلم عن مذهبه ويجادل عنه ، فإذا جاء رئيس من أي فرقة كان ، قامت الجماعة إليه قياماً على أقدامهم حتى يجلس فيجلسون بجلوسه ، فإذا غصّ المجلس بأهله ، رأوا أنه لم يبق لهم أحد ينتظرونه ، قال قائل من الكفار: قد اجتمعتم للمناظرة فلا يحتج علينا المسلمون بكتابهم ولا بقول نبيهم ، فإنا لا نصدق ذلك ولا نقر به وإنما نتناظر بحجج العقل وما يحتمله النظر و القياس فيقولون نعم لك ذلك.

قال أبو عمر: فلما سمعت ذلك لم أعد إلى ذلك المجلس.

قيل لي: ثَمّ مجلس آخر للكلام ، فذهبت إليه فوجدتهم في سيرة أصحابهم سواء ، فقطعت مجالس أهل الكلام ، فلم أعد إليها.

قال ابن أبي زيد: ورضي المسلمون بهذا من الفعل والقول؟

قال أبو عمر: هذا الذي شاهدت منهم.

فجعل أبو محمد يتعجب من ذلك ، وقال: ذهب العلماء ، وذهبت حرمة الإسلام و حقوقه، وكيف يبيح المسلمون المناظرة بين المسلمين ، وبين الكفار؟ وهذا لا يجوز أن يفعل لأهل البدع الذين هم مسلمون ويقرون بالإسلام ومحمد ﷺ ، وإنما يدعى من كان على بدعة من منتحلي الإسلام إلى الرجوع إلى السنة والجماعة ، فإن رجع قبل منه ، و إن أبى ضربت عنقه .

---

[٣٩] هو سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب الباجي القاضي أبو الوليد، فقيه محدث إمام متقدم مشهور عالم متكلم» ولد سنة (٤٠٣ هـ) له تواليف تدل على معرفته وسعة علمه قال صاحب البغية: «توفى سنة أربع وسبعين وأربعمائة (٤٧٤ هـ) بالمرية وكان أعلم عصره علماً وديانةً» رحمه الله رحمة واسعة. انظر (بغية الملتمس ٣٨٦/٢ ، ٣٨٥ ، سير أعلام النبلاء ٥٣٥/١٨ (٢٧٤) (وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، أبو العباس أحمد بن خلكان ، ٤٠٨/٢)

[٤٠] انظر مجلة المعهد المصري في مدريد ٣٥/٣/١٣٥

[٤١] هو أحمد بن محمد بن سعدي ، أبو عمر فقيه فاضل محدث رحل إلى المشرق ، وحدث عن كثير من أهل العلم ، توفي بعد (٤٠٩ هـ) . انظر(الصلة ١٧٥/٦)

و أما الكفار فإنما يدعون إلى الإسلام ، فإن قبلوا كف عنهم ، وإن أبوا بذلوا الجزية كف عنهم ، وإما أن يناظروا على أن لا يحتج عليهم بكتابنا ولا بنبينا فهذا لا يجوز. فإنا لله وإنا إليه راجعون[٤٢].

هذا منهج العلماء الأبرار الأتقياء الملتزمون لسنة سيد الأنبياء ، ولله در أبي عمر كيف لو رأى مجلس مناظرات هذا الزمان ، التي نبذت ما دعا إليه والتزمه واختلطت فيها أصناف المشركين والمبتدعين من رجال ونساء وانتهكت فيها ثوابت الدين وقواطع الشريعة.

وهذا العلامة ابن خاقان[٤٣] يحذر ويثلب الفيلسوف ابن باجة وينبه على خطورة معتقده ، لما ترجم له ، قال ما نصه: «هو عدو عين الدين وكمد نفوس المهتدين ، أشهر سخفاً وجنوناً ، وهجر مفروضاً ومسنوناً ، فما يتشرع ولا يأخذ في غير الأضاليل ويشرع » إلى قوله: «..واقتصر على الهيئة وأنكر أن تكون له إلى الله فيئة ، وحكم الكواكب بالتدبير واجترم على اللطيف الخبير .. فهو يعتقد أن الزمان دَوْر وأن الإنسان نبات أو نَوْر..» [٤٤] مع زعم بعض من ترجم لهما أنه كانت بينهما خصومة شخصية ، ولكن الأمر أجلي من أن يعتذر لفيلسوف اشتهر بتقديس آراء الفلاسفة وكتب فيها ونافح بكل ما يملك.

واشتهر الفقيه القاضي أبو عامر ابن ربيع[٤٥] بمجاهدة الفلاسفة وهجرهم ، ومنهم ابن رشد ، وهو ممن جاهدهم بالمنافرة والمجاهرة هو وأبناؤه وامتحن بسبب ذلك[٤٦] رحمهم الله.

وممن اشتهر من الفقهاء بمنافرتهم وهجرهم القاضي اليحصبي[٤٧] وكان رحمه الله شديداً عليهم وعلى أهل الزيغ والبدع[٤٨] .

وممن عرف بالرد على الفلاسفة والتحذير منهم الإمام أبو بكر بن العربي[٤٩] فقد نقد المتكلمين وشنع عليهم وبين ضررهم ، حيث جاءوا بالطرق الفلسفية ونشروا

---

[٤٢] انظر الصلة ١٧٥/٢ ـ ١٧٧

[٤٣] هو أبو نصر الفتح بن عبد الله بن خاقان القيسي الإشبيلي صاحب كتاب قلائد العقيان له عدة تصانيف منها القلائد ، كلامه في مؤلفاته تدل على غزارة فضله وسعة مادته ، وكان كثير الأسفار سريع التنقلات توفي سنة ٥٢٥هـ . انظر(أبجد العلوم ٦٧/٣)

[٤٤] نفح الطيب ١٧/٧ ، ١٨

[٤٥] لم أجد له ترجمة ، ولم أتوصل لمعرفته

[٤٦] المرقبة العليا ، ص ١٤٤

[٤٧] هو عبد الله بن موسى بن محمد اليحصبي من أهل الجزيرة الخضراء ، كان ديناً ورعاً توفي بعد سنة خمس وحمسين وست مئة للهجرة. انظر(صلة الصلة ١٤٩/٣، ١٥٠)

[٤٨] انظر صلة الصلة ١٤٩/٣ ، ١٥٠

كتبها[٥٠] ، كما نقد الفلسفة المجوسية المتمثلة في البرامكة[٥١] وبين في عواصمه خطر كتب الفلاسفة وكثرة الدس فيها ضد الدين والعقيدة[٥٢] ، وله قصيدة مثلى في الرد عليهم وعلى إلحادهم منها:

كن للإله كما كان لك ... ولا تهتبل بمدار الفلك
فإن إلهك قد أحكمت ... معاليه من عالٍ ومن ملك
ومن ذل أو عز في موطن ... ومن عاش في نعمةٍ أو هلك
فلا ترج ذلك من غيره ... ودع عنك من شك أو خذلك
وخل المضلين في غيهم ... وقل للكواكب من أصلك
وأنت تغور وأنت تمور ... فمن عاض منك ومن بدلك
ولو فلك دار من ذاته ... أقام إذا شاءه أو سلك
وإن لم يكن ذاك من طوقه ... فأنى يقال له ذاك لك
فليس المغير إلا الذي ... تغير عنك ومن شاكلك
فيا أيها الندب ما أعقلك ... ويا أيها الفدم ما أغفلك
أمن كان عن كونه عاجزاً ... أترجوه للغير ما أجهلك
تنبه فقد بان وجه الدليل ... وقد آن أن تعرف من دل لك[٥٣]

وهذا رد علمي رصين في ثوب بلاغي متين.

ولما ترجم أبو جعفر الثقفي الغرناطي لابن رشد ألمح ونوه إلى انحرافه لكتب أرسطو وترجمها واعتمدها وأنحى على من خالفه ورام الجمع بين الشريعة والفلسفة

---

[٤٩] قال ابن سعيد هو: «الإمام العالم القاضي الشهير فخر المغرب ، أبو بكر محمد ابن عبد الله بن العربي المعافري» ، ولد سنة ثمان وستين وأربع مئة (٤٦٨ هـ) ونشأ وتأدب ببلده ، وفيها قرأ القرآن والقراءات ، ودخل مع أبيه إلى الحج سنة (٤٨٥ هـ) وسنّه سبعة عشر عاماً، ولقي شيوخ مصر وغيرهم ، وأتقن مسائل الخلاف والأصول والكلام على أئمة هذا الشأن ، كان فقيهاً فصيحاً حافظاً أديباً شاعراً كثير الملح مليح المجلس ، ولي القضاء فنفع الله به لصرامته ونفوذ أحكامه والتزم الأمر بالمعروف والنهي بالمنكر ، حتى أوذي في ذلك بذهاب كتبه وماله. أما مصنفاته فهي كثيرة ومتداولة ، وفيها ما هو مطبوع ومحقق ومن أهمها:كتاب أحكام القرآن في التفسير، القبس في شرح موطأ مالك بن أنس ،عارضة الأحوذي في شرح الترمذي.توفي رحمه الله سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة (٥٤٣هـ). انظر(المغرب ٢٤٩/١ ، سير أعلام النبلاء ١٩٧/٢٠ (١٢٨). نفح الطيب، ٢٨/٢ ، المرقبة العليا فيمن يستحق لقضاء والفتيا، لأبي الحسن النباهي، ص ١٣٨ . انظر أزهار الرياض ٦٣/٣

[٥٠] انظر العواصم من القواصم ٣٥/٢ ، ٨٤

[٥١] انظر المصدر السابق ٨٣/٢ ، ١٢٩/١ ، ١٣٣

[٥٢] انظر المصدر السابق ٩٤/٢ ، ١٠٢

[٥٣] انظر السابق ١١٨/٢

وحاد عما عليه أهل السنة فترك الناس الرواية عنه[٥٤] ، وذكر الغرناطي أيضاً فقيهاً اتهم بالتفلسف ونسب إلى مذهب ابن مسرة البدعي فانحرف عنه الفقهاء وتكلموا فيه[٥٥] .

التحذير من الفلاسفة وهجوهم شعراً:

لا ريب أن الأندلسيين أبدعوا في شتى المجالات ولا سيما مجال اللغة والأدب والشعر ولهم إسهام واسع جداً ، وقد استغل الفقهاء والشعراء هذا الفن للدفاع عن عقيدتهم والتحذير مما يتهددها بوسائل عدة ومنها الأدب والشعر ، وهذا النوع من الهجر والتحذير اتخذه بعض الفقهاء والشعراء لتبيان خطر الفلسفة وأتباعها في الأندلس ومنهم العلامة ابن جبير ما أوردناه آنفاً ومنها:

ضلت بأفعالها الشنيعة طائفة عن هدى الشريعة
ليست ترى فاعلاً حكيما يفعل شيئاً سوى الطبيعة[٥٦]

وقال متهماً إياهم بالمروق من الدين ومحذراً من اعتقادهم في إباحة المحظور وارتكاب كل ما حرم الله واستتارهم خوفاً من العقاب وإقامة الحدود عليهم:

لأشياع الفلاسفة اعتقاد يرون به عن الشرع انحلالا
أباحوا كل محظور حرام وردوه لأنفسهم حلالا
وما انتسبوا إلى الإسلام إلا لصون دمائهم ألا تسـالا
فيأتون المناكر في نشاط ويأتون الصلاة وهم كسالى[٥٧]

وينكر العلامة الأديب ابن عبد ربه - صاحب العقد الفريد - اعتقاداتهم الفاسدة وتعلقهم بالكواكب والنجوم وينكر عليهم ذهاب عقولهم وشتات أفكارهم قائلاً:

فأين الزيج[٥٨] والقانـ ـون والأركند والكمة[٥٩]
وأين السند هند[٦٠] البـا طل الجدول هل ثمة

---

[٥٤] انظر صلة الصلة ٣٨٣/٥ ، ٣٨٤
[٥٥] انظر المصدر السابق ٢٧/٤
[٥٦] انظر نفح الطيب ٣٨٥/٢
[٥٧] انظر الذيل والتكملة ٦١١/٢/٥
[٥٨] الزيج: هو خيط البناء وهو المِطْمَرُ فارسي معرب قال الأصمعي لست أدري أعربي هو أم معرب. (لسان العرب٢٩٤/٢) ، قلت: ويبدو أنها خطوط الطول والعرض في تقسيم الأقاليم.
[٥٩] الأركند والكمة: لم أجدها فيما بين يدي من معاجم اللغة وقال محقق الديوان: كتابان هنديان يبحثان في أحكام النجوم ، نرجم إلى العربية في العصر العباسي . انظر (ديوان ابن عبد ربه ، ١٨٧)
[٦٠] السند هند : لم أجدها فيما بين يدي من معاجم اللغة وقال محقق الديوان: كتاب فلك هندي، نقل إلى العربية أيام أبي جعفر المنصور . انظر (ديوان ابن عبد ربه ، ١٨٧)

سوى الأفك على الله تعالى منشر الرَّمــة
إذا كان أخو النجم يرى الغيب بما ضمه
فلم ذا يطلب الرزق طلاب العاجز الهمة
وهذي الأرض قد وارت كنوزاً عدة جمــة
فلا والله ما للـــه خلق يحتوي علمـه[٦١]

كما أن النابغين من أصحاب الفنون الأخرى تعرضوا للرد على زندقة الفلاسفة وعرضوا بهم ولو عن طريق المهاجاة بينهم.. فهذا الفيلسوف ابن الصائغ يتهم ابن زهر الطبيب بقتل مرضاه قائلاً:

يا ملك الموت وابن زهر جاوزتما الحد والنهاية
ترفقا بالورى قليلاً في واحد منكما الكفاية

فهجاه الطبيب ابن زهر وحذر من اعتقاده ببيتين يذكره فيه انشغاله بالفلسفة المخالفة للشريعة ، ورماه بالزندقة وما ينتظره في الدنيا من حد الزنادقة:

لا بد للزنديق أن يصلبا شاء الذي يعضده أو أبى
قد وطأ الجذع له نفسه وصوب الرمح إليه الشبا[٦٢]

الفصل الرابع

دخول الفلسفة للأندلس وانتشارها

لا يستطيع الباحث أن يحدد تاريخاً دقيقاً بالشهر أو السنة أو العقد في دخول الفلسفة لعالم الأندلس ، والسبب في ذلك أنه لم يؤرخ لهذا الأمر من جميع من كتب في شتى العلوم الأندلسية ، وإنما وردت إشارات تفيد شيئاً عن ذلك ، ويمكن القول أن الأندلس كانت خلواً من الفلسفة حتى القرن الثالث الهجري ، وذلك أن المسلمين الفاتحين كانوا مجاهدين متحمسين لعقيدتهم لم يؤثر عنهم انصراف إلى شئ من ذلك[٦٣] . ويبدو أن الرحلات العلمية التي قام بها طلبة العلم إلى المشرق ودخول الأشعرية الكلامية إلى الأندلس كان لها أثر وتوطئة لعلم الفلسفة[٦٤] ، فعلم الكلام يقوم في حقيقته على إثبات العقائد بالطرق العقلية..فوجد المتفلسفون طريقاً إلى طلاب العلم من هذا الباب .

وممن رحل إلى المشرق لتعلم علم الكلام ابن السمنية ، حيث تعلم الكلام والجدل وتأثر بالمعتزلة ثم عاد إلى الأندلس ونشر ذلك مما أسخط عليه الفقهاء

[٦١] انظر ديوان ابن عبد ربه ، ص ١٧٨
[٦٢] انظر الهجاء في الأدب الأندلسي ، ص ٢٢٣ ، ٢٢٤
[٦٣] انظر تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٣٢٣
[٦٤] انظر الحياة العلمية ، للبشري ، ص ٢٨٢

والعامة[٦٥] ، ومنهم كذلك –في عصر ملوم الطوائف- الفقيه محمد بن خلف الأنصاري من غرناطة حيث تعلم الكلام على أصول الأشعرية في الاعتقادات[٦٦] ، وغيرهم من طلبة العلم الذين نقلوا تلك العلوم العقلية إلى الأندلس.

وممن أسهم في إدخال الفلسفة أحد الأطباء المتفلسفين ويدعى الكرماني ، إذ نشر «رسائل إخوان الصفا» الباطنية في مدينة سرقسطة وكان الذي أدخلها بادئ الأمر إلى الأندلس رجل يدعى مسلمة المجريطي[٦٧] .

وممن عرف بالعناية الشديدة بهذه العلوم أحد المعتزلة وكان تلميذاً للجاحظ طنت المصادر بذكر اسمه[٦٨] ، كما أن بعض الفقهاء المالكية اطلع على آراء الفلاسفة لما زار المشرق للحج أو لطلب العلم[٦٩] ، مما زاد من انتشار الفلسفة وجعل بعض طلبة العلم يلتفت إليها.

ولا شك أن بزوغ نجم ابن مسرة كان له أثره الكبير في نشر مذاهب الفلسفة في الأندلس ، وكان في نهاية القرن الثالث الهجري ، وهو ممن عني بالمذهب الأفلوطيني ، وممن عرفت عنه الشعوبية والعداء للعرب وتأييد المذاهب المنحرفة ، ومما يؤسف له أن بعض الفقهاء تبعه على مذهبه ونافح عنه[٧٠] .

ومن أهم العوامل المؤثرة في دخول وانتشار الفلسفة قيام الأمراء والخلفاء بترجمة الكتب الفلسفية وإدخال بعضها وإيداعها مكتباتهم الخاصة .. وبعد زوال وانهيار دولة بني أمية بيعت المكتبات وما حوته من كتب فساعد ذلك في فشو تلك الكتب الفلسفية[٧١] ، وكان الخلفاء يقتنون تلك الكتب باعتبارها كتب علم الطب والفلك ونحوها ، نظراً لمعارضة الأندلسيين الشديدة للفلسفة وفي هذا يقول آسين بلاثيوس: «إن الفلسفة لم تدخل الأندلس صريحة ظاهرة بوجه مسفر ، وإنما وفدت عليه في صحبة العلوم التطبيقية – الفلك والرياضة والطب – أو تسربت إليه متسترة في ثنايا بدع الاعتزال وبعض مذاهب الباطنية ، كما اجتهد أصحاب هذه المذاهب –التي كانوا يتحاشونها- في النجاة بأنفسهم من تعقب الفقهاء وأهل الدولة بالظهور في مظهر التدين

---

[٦٥] انظر تاريخ علماء الأندلس ١٨٨/٢ ، جذوة المقتبس ، ص٩٢ ، بغية الملتمس ، ص ١٥٧

[٦٦] انظر الذيل والتكملة ١٩٣/٦-١٩٦

[٦٧] انظر تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٣٣٣ ، ومجريط هنا هي حصن إسلامي ، تسمى اليوم مدريد عاصمة الدولة الأسبانية

[٦٨] انظر المصدر السابق ، ص ٣٢٤

[٦٩] انظر آراء ابن العربي ٦٣/١ ، ٦٤

[٧٠] انظر تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٨ ، ٢٦٨ ، ٣٣٠

[٧١] انظر المصدر السابق ، ص ٣٣٢

والنسك[٧٢] ، وهذا الأمر يتكرر عبر الأزمان تارة بالفلسفة وتارة بالباطنية وتارة بالتصوف وتارة بمذهب فكري كما هو حالنا اليوم.

الفصل الخامس

الموقف العام من الفلسفة في الأندلس

انتشر مذهب الإمام مالك في الأندلس –وهو أحد مذاهب أهل السنة في الفقه- وتلقاه الناس بالقبول الشديد له وتعليمه في المساجد والمدارس ، كما تبنته الدول المتتابعة وعينت قضاته وفقهائه في شتى الأعمال ، وكان من الغريب في الأندلس أن يتبع المسلم مذهباً غير مذهب الإمام مالك إلا ووقف الناس منه موقفا.. ، ولا أدل على ذلك من محنة ابن حزم الظاهري حيث نبذ وطرد من بلده[٧٣] ؛ لتبنيه مذهب الظاهري خلاف ما عهده الأندلسيون ، وغيره من الفقهاء وقعت لهم بعض الحوادث التي تدل على تمسك الأندلسيين بالموطأ وما يتفرع عنه من فقه..

في مثل هذه الثقافة العامة التي تتمسك بهذا المذهب السني الذي اطمأنت إليه قلوبهم -لأنه يعمل الدليل في مسائل الشرع من الكتاب والسنة- ونبذوا كل مذهب آخر سواه حتى لو كان من مذاهب أهل السنة والجماعة ، يصعب أن يأتي أحد بمذهب وثني كالفلسفة ويحاول تعليمه وتعلمه.. إلا تعرض للبلاء المبين.

مكانه الفقهاء ورجم الفلاسفة:

يذكر المقري في نفحه بعض ما عرف به الشعب الأندلسي من توقير وتعزير للفقهاء وأهل العلم : «.. وسمعة الفقيه عندهم جليلة.. وقد يقولون للكاتب والنحوي فقيه لأنها عندهم أرفع السمات»[٧٤] ، وقال: «وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء إلا الفلسفة والتنجيم ؛ فإن لهما حظاً عظيماً عند خواصهم ولا يتظاهر بهما خوف العامة ، فإنه كما قيل: فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم أطلقت عليه العامة اسم زنديق وقيدت عليه أنفاسه ، فإن زل في شبهة رجموه بالحجارة أو حرقوه قبل أن يصل أمره إلى السلطان ، أو يقتله السلطان تقرباً لقلوب العامة ، وكثيراً ما يأمر ملوكهم بإحراق كتب هذا الشأن إذ وجدت..» [٧٥]

ويؤكد ابن طفيل هذه الحقيقة عن علم الفلسفة بأن «هذا العلم أندر من الكبريت الأحمر لاسيما في هذا الصقع الذي نحن فيه ؛ لأنه من الغرابة في حد لا يظفر باليسير منه إلا الفرد بعد الفرد ، ومن ظفر بشيء منه لم يكلم الناس إلا رمزاً ، فإن الملة الحنيفية والشريعة المحمدية قد منعت من الخوض فيه وحذرت عنه»[٧٦].

---

[٧٢] انظر تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٣٣٢

[٧٣] انظر الإحاطة ١١٥/٤ ، ١١٦

[٧٤] انظر نفح الطيب ٢٢١/١

[٧٥] المصدر السابق ٢٢١/١ ، ٢٢٢

[٧٦] حي بن يقضان ، ص ٦١

وفي رسالة طويلة لابن حزم يذكر فيها مفاخر أهل الأندلس رداً على مغربي ذكر مفاخر أهل المغرب ، أن علم الفلسفة قليل طالبه بالأندلس[٧٧] ، وذيلها ابن سعيد[٧٨] مكملاً لها وفي آخره كلامه وصفه بأنه «علم ممقوت بالأندلس لا يستطيع صاحبه إظهاره ؛ فلذلك تخفى تصانيفه»[٧٩]

ومن أكثر العصور منافرة للفلسفة عصر المرابطين –وهم جماعة من الفقهاء المجاهدين- إذ كان أميرهم علي بن يوسف وجماعته من الفقهاء يكفرون كل من ظهر منه شيء من الكلام والفلسفة ، وأنه بدعة في الدين ولما دخلت كتب بعضهم إلى الأندلس قام بإحراقها وتوعد من استقدمها بالعقوبة الشديدة[٨٠] .

ولما حضر ابن تومرت إلى المغرب في عصر المرابطين نفي إلى مراكش ؛ لأن أهل المغرب والأندلس كما قال المراكشي: «ينافرون أهل هذه العلوم ويعادون من ظهرت عليه شديداً أمرهم في ذلك»[٨١]

ولم تقتصر كراهية الأندلسيين على الفلسفة بل امتد إلى علم المنطق ، فابن طلموس يقول: «رأيت صناعة المنطق مرفوضة عندهم مطروحة لديهم ، ولا يحفل بها ولا يلتفت إليها ، وزيادة على هذا أن أهل زماننا ينفرون منها ويرمون العالم بها بالبدعة والزندقة [٨٢] ، ومن أجل هذا لم تكن تدرس الفلسفة في المؤسسات العمومية مثل المدارس والمساجد[٨٣] .

ولكن هل استمرت كراهة الدول الأندلسية وبالتالي الشعب الأندلسي للفلسفة؟ وهل كانت الدول الأندلسية على وتيرة واحدة في محاربتها للفلسفة؟

إن الغالب في الأندلس كره الفلسفة ومحاربتها ولكن في دول الطوائف أصبح الحبل على الغارب –كما تقدم- وبيعت الكتب ونهبت المكتبات وراج سوق الفلسفة ، وفي دولة الموحدين ازدهرت الفلسفة ونشطت وتعلمها البعض ، فما سبب ظهورها في عصر الموحدين؟

---

[٧٧] انظر نفح الطيب ١٧٦/٣

[٧٨] هو محمد بن خلف بن سعيد بن وهب المري أبو عبد الله المعروف بابن المرابط من أهل الفقه والفضل ، لف كتابا في شرح البخاري مفيدا كبيرا روى عنه القاضي أبو الإصبع بن سهل والقاضي أبو عبد الله التميمي وغيرهما وتوفي بالمرية سنة ٥٨٤هـ . انظر(شذرات الذهب ٣٧٥/٢ . معجم البلدان ١١٩/٥)

[٧٩] نفح الطيب ١٨٦/٣

[٨٠] انظر المعجب في أخبار بلد المعرب ، ص ٢٣٧

[٨١] المصدر السابق ، ص ٢٥١

[٨٢] انظر ابن رشد في كتاب فصل المقال ، ص ١١٢ ناقلاً عن نفح الطيب

[٨٣] انظر المصدر السابق ، ص ١١٢ ، ١١٣

مما لا ريب فيه أن دولة الموحدين قامت على أساس عقيدة ابن تومرت الفلسفية الكلامية ومدرستها تقرر الاعتقاد بواسطة ما سمي بالقواعد العقلية ، ولذا سمح بعض أمراء الموحدين بتعلم الكلام والفلسفة وفق ما يراه الموحدون ، مستمدين ذلك من كتب ابن تومرت ككتاب «أعز ما يطلب»[٨٤] والمرشدة وغيرهما .

ولكن ذلك التأييد لم يدم ، ودوام الحال من المحال والأيام دول ، فدالت على الفلاسفة الدول في بعض عصر الموحدين ، إذ نبذهم الناس وكرههم الأمراء ووقفوا منهم موقفاً عدائياً شديداً كما حصل من خليفة الموحدين الأمير أبو يوسف الموحدي وإحراقه كتب الفلسفة ، وحادثة لعنه للفيلسوف ابن رشد المشهورة[٨٥] ، ومطاردة أهل الفلسفة وفرض كتب الحديث وجعل الجوائز السنية لمن حفظها وتعلمها ، كما نبذ كتب المذاهب الفقهية[٨٦] .

غربة الفلاسفة:

في ظل الأجواء الإسلامية التي يكثر بها الفقهاء وأهل العلم في بلاد الأندلس لم يجد الفلاسفة متنفساً من هذا الجو المعادي لهم ، إلا في بعض الدول التي غضت الطرف عنهم[٨٧] ، وقد سطر التاريخ غربتهم وتوحدهم وانعزالهم عن المجتمع ؛ لأنهم أتوا بما يخالف عقيدة الأمة الإسلامية، والأمثلة على ذلك كثيرة ، فقد سخط الفقهاء والعامة على طالب علم يدعى محمد بن وهب القبري(ت٤٠٠هـ - ١٠٠٩م) الذي رحل إلى المشرق فالتقى بعدد من علماء الكلام فتأثر بعلومهم ومعارفهم ثم عاد إلى الأندلس فتكلم بشيء منها ، مما أسخط عليه الفقهاء والعامة[٨٨] ، وهذا السخط والنقمة على شيء من الكلام فما بالك لو تلكم بكلام الفلاسفة .

كما نقم أهل الأندلس على الفيلسوف ابن مسرة ونبذوه فعاش عزلة مديدة مع بعض مريديه دهراً من الزمن[٨٩] .

---

[٨٤] انظر الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين ، ص ٢٦٦ ، ٢٦٧

[٨٥] انظر المعجب ، ص ٣٤٨ ، ٣٨٧

[٨٦] مما تجدر إليه الإشارة تقديس المستشرقين للفلاسفة لا سيما «آنخل بالنثيا» وتعظيم شأنهم في الأندلس ، وهجومه المستمر على الفقهاء وأهل العلم ، ومن ذلك قوله في كتابه الشهير تاريخ الفكر الأندلسي: «ونظر فقهاء الأندلس إلى كل تفكير عقلي في مسائل الدين على أنه زندقة واتهموا من يتكلم في المنطق في دينه ، بل لم يتسامحوا مع نفر من الناس صدرت عنهم أقوال تمس الدين في ساعة الضيق أو اشتداد المرض أو في لحظة خفة وانبساط ، فعاقبوا بعضهم وقتلوا البعض الآخر» (تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٣٢٤)

[٨٧] انظر التربية الإسلامية في الأندلس ، ص ٤١ ، ٨٦

[٨٨] انظر تاريخ علماء الأندلس ١٨٨/٢ ، جذوة المقتبس ص ٩٢ ، بغية الملتمس ، ١٥٧

[٨٩] انظر التربية الإسلامية في الأندلس ، ص ٨٨

وكذا الفيلسوف ابن باجه –كما يقول المستشرق «دي بور» - حيث عاش في وحدة عقلية ولم يجد أنيساً يشاطره آراءه ، ولم تكن حياته على قصرها حياة سعيدة ، وكثيراً ما تمنى الموت ليجد منه الراحة الأخيرة ، وما وصل إلينا من كتبه يدل دلالة واضحة على أنه لم يكن يأنس إلى عصره وأهل بيئته[٩٠] .

وفي هذا الأمر عبرة لأولي الألباب فهذه العزلة وهذا التوحد ، وهذا النكد هو ما أخبر الله به من المعيشة الضنك لمن خالف أمره وعاند شرعه ، والحوادث الدالة على نبذ الفلاسفة وسخط العامة والعلماء والأمراء كثيرة ، وتحريق كتبهم في الميادين العامة شهيرة[٩١] ، كما وقع في بعض العهود والدول وسيأتي إن شاء الله تعالى.

الفصل السادس

موقف الخلفاء والأمراء الأندلسيين من الفلسفة

تباينت مواقف الأمراء والخلفاء الأندلسيين من الفلسفة وأهلها ، فمن الأمراء من وقف منها موقفاً عدائياً حازماً ، ومنهم من تغافل عنها وأعرض عن أهلها لظروف سياسية واجتماعية وعسكرية ، ومنهم من سهل لها الطريق وتفاعل مع أصحابها ورفع قدرهم وأعلى منزلتهم ، وفي الجملة يمكن القول أنه لم يكن لها القبول لدى السواد الأعظم من الأمراء لاعتبارات اعتقادية وسياسية.

عصر بني أمية:

لا شك أن العصر الذهبي للأندلس كان في عهد بني أمية ويمكن القول أن عصرهم كان معادياً للفلاسفة من حيث الجملة ، ومن أبرز أمرائهم عبد الرحمن الناصر الذي كانت له مواقف مع الفلاسفة تنم عن حزم ضد كل مبتدع في الدين ، وقد تصدى للمتفلسف ابن مسرة ومدرسته البدعية -التي استشرت وعلا شررها – بكتاب يندد به وبأتباعه ومنه: «..وظنوا أنهم فهموا ما جهلوا وتفقهوا فيما لم يدركوا واستولى عليهم الخذلان وأجلب عليهم بخيله ورجله الشيطان» ومنه: «..لولا أن سيف أمير المؤمنين من ورائهم ونظره محيط بهم ، ولما صار غيهم فاشياً وجهلهلم شائعاً اتصل بأمير المؤمنين من قدحهم في الديانة وصدوفهم عن الجادة ما شغل نفسه وأقض مضجعه وأسهر ليله ، أغلظ أمير المؤمنين في الأخذ على أيديهم..» [٩٢] .

وخالفه في هذا النهج الحكم المستنصر –وهو من آخر خلفاء بني أمية – شجع الفلسفة وجمع في مكتبته كثيراً من كتبها[٩٣] .

---

[٩٠] انظر تاريخ الفلسفة في الإسلام ، ص ٢١٤ ، ابن باجه وآرؤه الفلسفية ، ٣٩

[٩١] انظر طبقات الأمم ، ص ٦٤ ، البيان المغرب ، ص ٢٩٣ ، وللمزيد انظر مجلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، ص ١٧

[٩٢] المقتبس لابن حيان ، ص٢٦ ،٢٩ ،

[٩٣] انظر تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٣٣٠ ، ٣٣٣ ، ١١

وجاء بعده المنصور بن أبي عامر[٩٤] –وهو قائد فقيه من قوادهم- فأحرق جميع كتب الفلسفة في هذه الخزائن[٩٥] لاسيما وهو فقيه مجاهد سعى أصحاب المصادر التي كتب فيها المستشرقون عن الأندلس لتشويه صورته الناصعة ووسموه بالغلو والتشدد ولم أجد رجلا يحقد عليه المستشرقون[٩٦] وأتباعهم ممن تأثر بهم من المسلمين أكثر من حقدهم على هذا الفاتح العظيم والفقيه الجليل ، والذي يؤخذ عليه حقاً أنه استبد بالأمر وأسهم في ضياع ملك بني أمية وتفرق الأندلس.

وقد كانت بحق انتكاسة كبرى للفلاسفة في عهد المنصور بن أبي عامر حيث حادثة الإحراق ومطاردة المشتغلين بالفلسفة[٩٧] ، ولذا آثر المشتغلون بها الاختفاء أو السكوت أو الخروج من الأندلس أو التستر بعلم الطب والفلك الرياضيات ونحوها[٩٨]. وبكل حال فإنه يمكن القول أن العهد الأموي في الأندلس كان ضد الفلسفة إلا من بعض الفترات القليلة[٩٩] .

عصر ملوك الطوائف:

بعد تضعضع وزوال دولة بني أمية بالأندلس ومجيء أمراء الطوائف فتح الباب على مصراعيه لأهل البدع والفلسفة وسمحت هذه الدويلات والإمارات لكل ناعق نظراً لضعفها وتهافتها.. واضطر بعض الأمراء لبيع محتويات المكتبات وفيها الكثير من كتب الفلسفة فانتشرت كتبهم عند الناس[١٠٠] ، كرسائل إخوان الصفا وكتب ابن مسرة وغيرها.

ومما أجمع عليه أهل العلم وأهل التأريخ أن عصر ملوك الطوائف عصر شؤم بعد سقوط دولة بني أميه ، وهو عصر بلاء وفتن وقلة علماء وطلبة علم ، وفي

---

[٩٤] هو محمد بن عبد الله بن عامر المعافري ، وفد جده مع طارق عند دخول الأندلس كان جواداً عاقلاً ذكياً ، تولى الحكم في آخر عهد بني أمية ، كان من أهل الجهاد والرباط ، قاتل النصارى في خمسين معركة وانتصر عليهم توفي سنة٣٩٤هـ مرابطاً ، انظر (نفح الطيب ٣٩٦/١-٤٢٣ ، المغرب لابن سعيد ٣٩٤/١)

[٩٥] انظر المصدر السابق ، ص ٣٣٣ ، التربية الإسلامية في الأندلس ، ص ٣٦

[٩٦] مما قاله المستشرق خوليان ريبيرا: «ومع مجئ المنصور بن أبي عامر اشتدت قبضة الفقهاء وكان في حاجة ماسة إلى التأييد الشعبي لكي يمحو جريمة وثوبه على السلطة ، فألقى بنفسه بين أحضانهم وبلغ غاية التطرف حين ألقى ظلال من الريبة على ذكرى الحكم المستنصر الجميلة ، فراجع كتبه وأخرج منها مواضع شبهة وأحرقه علناً أمام جماعة من العلماء» (التربية الإسلامية في الأندلس ، ص٣٦ ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ١٢)

[٩٧] انظر الحياة العلمية للبشري ، ص ٤٣٩

[٩٨] انظر طبقات الأمم ، ص ٨٨ ، ٨٩

[٩٩] انظر تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٣٣٢

[١٠٠] انظر المصدر السابق ، ص ٣٣٣ ، ٣٣٤

هذا العصر راج كل شيء كرهه الأندلسيون الفقهاء ومنه علم الفلسفة ، ففيه باضت وفرخت وازدهر سوقها وبزغ نجمها ، وهي من أكبر الفتن التي دقت المسمار الأكبر في نعش دولة المسلمين الأندلسيين وانهيارها على يد الصليبيين.

وفي هذا العصر ساد تساهل عظيم أدى إلى تذويب العقائد وضعف الفقه الشرعي وتواري العلماء[١٠١] .

في ظل هذه الأجواء جاءت خطوات الفلاسفة العقليين الذين قالوا بدين واحد للبشر جميعاً ، فقام الفيلسوف الكرماني بنشر «رسائل إخوان الصفا» في مدينة سرقسطة ، وكان الذي أتى بها مسلمة المجريطي ، ودخلت معها مدارس أخرى كالأفلاطونية الحديثة بالإضافة لا بن مسرة وفلسفته انتهاءً بابن عربي ، وقامت فلسفات أخرى كالمشائية[١٠٢] وذاعت ذيوعاً واسعاً[١٠٣] .

ومن أشهر أمراء الطوائف الذين تحمسوا للفلسفة ورعوها المقتدر والمؤتمن من بني هود بسرقسطة ، وقد وفد عليهم فلاسفة عديدون مثل «ابن جبيرول» اليهودي و«ابن باجه»[١٠٤] وغيرهما.

ومن أمراء الطوائف الذين عنوا بها المأمون بن ذي النون في مدينة طليلطلة ، ويلاحظ أن الإمارات في شمال الأندلس القريبة من الدول النصرانية رحبت بالفلسفة نظراً لانفتاحها وقربها منهم وقلة الفقهاء بها.

وقد ضمت بلاد المأمون فلاسفة مثل عمرو بن أحمد الكرماني وثابت الجرجاني وابن الصائغ وصاعد الطليطلي[١٠٥] وغيرهم.

وممن برز من الفلاسفة في عصر ملوك الطوائف الفيلسوف ابن السيد وهو عبد الله بن محمد النطليوسي وله كتاب سماه«الحدائق» تناول فيه صفات الله والخلود وغير ذلك[١٠٦] من الإلهيات.

ومن مملكة طليطلة اشتهر الفيلسوف سعيد بن محمد البغونش[١٠٧] .

---

١٠١ انظر المصدر السابق ، ص ٣٣٣ .

١٠٢ المشائية: هي مدرسة فلسفية تتبع أرسطو تقول إن الله ليس له صفة ثبوتية ، بل صفاته إما سلبية وإما إضافية ، وهم كالقرامطة الباطنية القائلين بدعوة الكواكب والشمس والقمر والسجود ، ويقولون أن الشرائع ما هي إلا أمثال مضروبة لتفهيم العامة ما يتخيلونه في أمر الإيمان بالله واليوم الآخر، وأن الحق الصريح الذي يصلح أنه إثبات وجود مطلق لا حقيقة له في الخارج. انظر (درء تعارض العقل والنقل ٣١٢/١، ٤٢/٦ ، الصفدية ٣٢٦/٢)

١٠٣ انظر تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٣٣٣ ، ٣٣٤.

١٠٤ انظر المصدر السابق ، ص ١٢ .

١٠٥ انظر الحياة العملية ، للبشري ، ص ٤٤٠ .

١٠٦ انظر تاريخ الفكر العربي ، ص ٦٠٥ ، تاريخ النقد الأدبي بالأندلس ، ص ٦٥

١٠٧ انظر طبقات الأمم ، ص ١٠٩ - ١١١

وممن برز من الفلاسفة اليهود في مملكة بني هود الطبيب منجم بن الفوال وكان ماهراً بالمنطق[١٠٨] ، ومنهم سليمان بن يحيى وله كتاب «ينبوع الحياة» وغيره[١٠٩] .
ولا شك أن ظهور هؤلاء المتفلسفة مهد لظهور أساطين الفلسفة بالأندلس كابن رشد وابن طفيل وابن باجه وغيرهم.

عصر المرابطين:

سطر التاريخ سيرة المرابطين بأنه قوم من المجاهدين من فقهاء السنة والجماعة ، يتبعون المذهب المالكي ، وقد كسر الله بهم عباد الصليب في وقعة الزلاقة الشهيرة[١١٠] ، والتي حفظت بقاء المسلمين عدة قرون.

ويمكن القول أن عهد المرابطين لم يكن مؤيداً للفلسفة في الجملة ، بل وقف منها في بعض الأحيان موقفاً معادياً جداً[١١١] .

ومن الأمراء المرابطين الذين كان لهم تعامل حسن مع الفلاسفة علي بن يوف بن تاشفين ، حيث قرب أحد المتفلسفة ويدعى مالك بن وهيب -وربما كان ذلك سياسة منه خالف به الاتجاه العام للمرابطين- وصيره جليسه بعد أن استدعاه من أشبيلية إلى مراكش ، وقد أسخط ذلك عليه الناس وقال قائلهم:

دولة لابن تاشفين علي طهرت بالكمال من كل عيب
غير أن الشيطان دس إليها من خباياه مالك بن وهيب[١١٢]

وهذا التيار المعادي للفلسفة في العصر المرابطي ، هو تيار يقوده الفقهاء الذين حاولوا تأليب الناس على كل مشتغل بالفلسفة والكلام[١١٣] باعتبارها خارجة عن الدين الحنيف.

ومن الأمراء المرابطين الذي شددوا على الفلسفة ، أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين ، وكان آنذاك أميراً على شاطبة ، فلما وصلها الفيلسوف ابن باجه سجنه بسبب ما نسب إليه من إلحاد وزندقة في الدين.. وقد كاد يطول حبسه لولا تدخل الفقيه الكبير ابن رشد (الجد غير الفيلسوف) وشفاعته له[١١٤].

وعلى العكس من أبي إسحاق هذا ما فعله الأمير أبو بكر بن إبراهيم الصحراوي صاحب سرقسطة ، إذ اتخذ من ابن باجه جليساً له ووزيرا[١١٥]. وبعد

---

١٠٨ انظر المصدر السابق ، ص ١١٦ ، ١١٧ . عيون الأنباء ، ص ٤٩٨
١٠٩ انظر تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٤٩٣
١١٠ انظر التاريخ الأندلسي ، ص ٣٩٠ ، الحلل الموشية ، ص ١٤٠ ، نفح الطيب ٣٦٤/٤
١١١ انظر ابن باجه وآراؤه الفلسفية ، ص ١٣ ، ١٤
١١٢ انظر نفح الطيب ، ص ٤٧٩
١١٣ انظر الهجاء في الأدب الأندلسي ، ص ١٤٥
١١٤ انظر قلائد العقيان ، ص ٣١٨
١١٥ انظر حي بن يقضان ، ص ٦١ ، ٦٢

سقوط سرقسطة هاجر ابن باجه إلى المغرب وتوفي هناك ، وقيل بل مات مسموماً[١١٦] من قبل أعدائه. وهذا –إن صحت الرواية- إنما سم لكثرة أعدائه في الدين أو لمحله الدنيوي والله أعلم.

ومما يدل على الاتجاه العام للمرابطين تجاه الفلسفة من حربها بلا هوادة أنه حرم في عصرهم النظر في علم الكلام والفلسفة وعلومهما[١١٧] وأحرقت في عهدهم كتب أخرى اتهمت بالبدعة «كإحياء علوم الدين» للغزالي[١١٨] .

عصر الموحدين:

قامت دولة الموحدين على أنقاض دولة المرابطين ، ويعتبر المتكلم ابن تومرت هو المؤسس الحقيقي للدولة -حتى وإن قامت فعلياً بعد موته – على يد تلميذه المخلص له عبد المؤمن بن على الكومي[١١٩] .

وبالتتبع التاريخي لرجالات دولة الموحدين ولواقع الأندلسيين نجد أن العصر الذهبي للفلسفة كان في عهد الموحدين إذ كانوا رعاة للفلسفة –من حيث الجملة- في أمرائهم المتتابعين[١٢٠] ، فيا ترى لماذا قويت الفلسفة في عهدهم ورعاها أمراء الموحدين ؟

جواب ذلك أن الأساس الذي قامت عليه الدولة الموحدية هو أساس عقائدي يقوم على إثبات العقائد بما سموه القواعد العقلية[١٢١] ، وهذا مطابق تماماً لقواعد ابن تومرت التي ألزم تلاميذه بتعلمها في كتابيه «المرشدة» و «أعز ما يطلب» حيث يؤكد فيهما أن «طريق التوحيد العقل وكذلك التنزيه ، وأنه لا طريق للتواتر فيهما..»[١٢٢].

وما من شك أن الفلسفة حظيت بزخم أعلى شأنها في عهد هذه الدولة إلا أنها شهدت كذلك قمعاً وتشنيعاً لها ولعلمائها الفلاسفة ، فالفيلسوف ابن رشد «الحفيد» علا شأنه في عهد الموحدين ونكب كذلك في عصرهم وعلى أيديهم[١٢٣] .

وكذلك برز في عصرهم الفيلسوف ابن طفيل صاحب كتاب «حي بن يقضان» بروزاً عظيماً ، وهذا يدل على تسامح جملة الحكام الموحدين معهم[١٢٤] .

---

[١١٦] انظر روضات الجنات ، ص ٧١٥

[١١٧] انظر الحياة الاجتماعية في الأندلس ، ص٦١

[١١٨] انظر البيان المغرب ٤/ ٥٩

[١١٩] انظر التاريخ الأندلسي ، ص ٤٥٦ ، ٤٥٧

[١٢٠] انظر الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين ، للعريني ، ص ٢٦٦

[١٢١] انظر المصدر السابق ، ص ٢٦٧

[١٢٢] أعز ما يطلب ، ص ٢١٤

[١٢٣] انظر الحياة العلمية في الأندلس ، للعريني ، ص ٢٦٨ ، الحياة الاجتماعية في الأندلس ، ص٦٢ ، ٦٣

ومن أبرز من كانت له مواقف من الفلسفة من الموحدين الأمير أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الموحدي ، فقد أتاح لهم الفرص وحاورهم وجادلهم بالتي هي أحسن ، ويذكر المراكشي شيئاً من الحوارات والملاطفات وخوف الفلاسفة أمامه من انكشاف حقيقة أمرهم في القول بقدم العالم[١٢٥].

كما أن هذا الأمير لشدة اهتمامه بالفلسفة جمع كماً هائلاً من كتبها ، وبعضهم يشبه عصر بعصر الحكم المستنصر(الأموي) في النهضة العلمية[١٢٦] ، وكما تقدم فإن ابن طفيل علا شأنه في عصر هذا الأمير الموحدي.

ولكن لم يدم الحال للفلاسفة في عهده ما أتيح لهم من حرية ، إذ تبين له أن غاية الفلاسفة هي القول بإبطال الأديان والنبوات ، فانقلب عليهم وطاردهم وشتت جمعهم ، ومن ذلك مطاردته لابن رشد واستتابته ونفيه وحرق مؤلفاته[١٢٧] ، ثم العفو عنه قبل موته بمدة . وقد أصدر أبو يعقوب المنصور منشوراً ضد الفلاسفة وعلى رأسهم ابن رشد ، يكشف فيه عقائدهم الإلحادية وينذرهم بالويل والثبور ، ومنه: «..وهؤلاء جهدهم التعطيل وقصاراهم الغمومة والتخييل وبث عقائدهم في الآفاق» ومنه: «فلما أراد الله فضيحة عمايتهم وكشف غوايتهم ، وقف بعضهم على كتب مسطورة من الضلال موجبة أخذ كتابه بالشمال.. مزلة للأقدام وسم يدب في باطن الإسلام.. فإنهم يوافقون الأمة في ظاهرهم وزيهم ولسانهم ،ويخالفونهم بباطنهم وبهتانهم ، فلما وقفنا منهم على ما هو قذى في جفن الدين ونكتة سوداء في صفحة النور المبين ، نبذناهم نبذ النواة ..» ومنه: «فاحذروا -وفقكم الله- هذه الشرذمة على الإيمان حذركم من السموم السارية في الأبدان ، ومن عثر له على كتاب من كتبهم فجزاؤه النار التي يعذب بها..» [١٢٨]

وطورد في عهده كذلك الفيلسوف أبو جعفر الذهبي حتى أنه وصل خطاب مشدد لحاكم غرناطة أن إذا وصله الخطاب أن يجمع جمعاً من العدول ويوقفه بينهم حتى يلعنوه ، ففعل ما أمر به[١٢٩] ، ومما يجب بيانه أن الحاكم تعاطف مع صاحبه الفيلسوف ففعله بسرية تامة في قعر قصره ، وفي هذا خيانة للأمة ولولي الأمر المسلم والله المستعان.

وأبو يعقوب هذا لم يعاد الفلاسفة فحسب بل حرق كتب التقليد الفقهية التابعة للمذاهب ، ودعا إلى الأخذ مباشرة من الكتاب والسنة وشدد على الأخذ بهما والعناية

---

[١٢٤] انظر الحياة الاجتماعية ، ص ٦٣

[١٢٥] انظر المعجب للمراكشي ، ص ٣١٤

[١٢٦] انظر الحياة العلمية ، للعريني ، ص ٢٦٧

[١٢٧] انظر المغرب لابن سعيد ١٠٤/١ ، ١٠٥

[١٢٨] انظر الوثائق السياسية ، ص ٤١٠ ، ٤١١

[١٢٩] انظر الغصون اليانعة ، ص ٣٩ ، ٤٠

بهما[١٣٠] ، وجمع عشرة من كتب السنة كالبخاري ومسلم وأحمد وغيرها وألزم طلاب العلم بها.. وذكر المراكشي أنه كان يحفظ أحد الصحيحين –الشك منه- البخاري أو مسلم وكان شغوفاً جداً بالعلم وطلابه[١٣١] يرحمه الله.

الأمير أبو يوسف يعقوب بن يوسف:

وقد سار هذا الأمير على نهج والده في محاولة الاقتفاء بالكتاب والسنة وقمع أهل البدع لاسيما الفلاسفة ومن نحا نحوهم . وأول ما ظهر من هذا الأمير مخالفة أسلافه في القول بالإمامة والعصمة لا بن تومرت ، بل كان يسخر ممن يكتب ذلك أو يتكلم به[١٣٢] ، ثم ثنى بنقد الفقهاء المقلدة وأحرق كتبهم[١٣٣] ، وقرر كتب السنة وأحرق كتب الفلسفة[١٣٤] وتعقب زعماءها ، ومنهم أبو الوليد بن رشد حيث وجد بخطه كتاب ترجمه عن الفلاسفة القدماء قوله: «..فقد ظهر أن الزهرة أحد الآلهة..» فاستدعاه الأمير وجمع له الرؤساء والأعيان ، فأنكر ابن رشد ، فقال الأمير: لعن الله كاتب هذا الخط وأمر الحاضرين بلعنه ، ثم أمر بإخراجه على حال سيئة[١٣٥] .

أما الأمير المأمون الموحدي فهو من الأمراء المتأخرين الذين نقموا على الفلاسفة وأخذ بتعقبهم ومطاردتهم ، وممن أصابته معرة هذا الموقف أحد المتفلسفين ويسمى ابن حبيب القصري حيث قتل وصلب لرميه بالزندقة[١٣٦] .

وهذه الأحداث تدل من حيث القطع والجزم أن مدرسة الفلاسفة مدرسة غريبة على المجتمعات الإسلامية في الأندلس ، إذ لم تلق القبول من العامة والفقهاء والأمراء من حيث الجملة ، فانتهت الفلسفة تقريباً بنهاية عصر الموحدين ولم يبرز لهم أعلام جديرون بالذكر بعد نهاية عصر الموحدين ، كأمثال ابن باجة وابن طفيل وابن رشد ، وقل أن يذكر التاريخ مدارس أو أعلام في مملكة غرناطة التي جاءت بعد الموحدين ، ثم استولى عليها النصارى وطردوا أهلها أو نصروهم فيما عرف بمحاكم التفتيش التي قادتها الكنيسة هناك[١٣٧] .

---

[١٣٠] انظر المعجب ، ص ٣٥٤ ـ ٣٥٦

[١٣١] انظر المغرب لابن سعيد ١٠٤/١ ، ١٠٥

[١٣٢] انظر المعجب ، ص ٣٦٨

[١٣٣] انظر المصدر السابق ، ص ٣٥٤ ، ٣٥٦

[١٣٤] انظر المصدر السابق ، ص ٣٨٥

[١٣٥] انظر المصدر السابق ، ص ٣٨٤ ، ٣٨٥

[١٣٦] انظر الحياة العلمية في عصر الموحدين ، للعريني ، ص ٢٦٩

[١٣٧] انظر دولة الاسلام في الاندلس ق٣٤٦/٤ ، (الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين ١٦-١٧ ، محمد رزوق ، ص٦١ . ، الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون ، ص ٩٠ ، مدنية المسلمين في آسبانيا ، ص ١٠١ ، التهجير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكيين ، ص٢٧..

الخاتمة

اللهم إنا نحمدك ونستعينك ونستغفرك ونستهديك ونصلي ونسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ، وبعد فهذه خلاصة موجزة لأهم النتائج التي توصلت إليها من خلال بحثي لهذا الموضوع الهام ، ومن ذلك:

١- إن الفلسفة في حقيقتها تقدس العقل وتجعله بديلاً عن الشرع.

٢- إن الفلسفة في أصل وضعها تقدس المادة وتنفي الغيبيات والوحي والشرع

٣- إن العلماء في الأندلس حرموا تعلم الفلسفة لما فيها من إلحاد وكفر بالله

٤- إن العلماء في الأندلس نبذوا الفلاسفة وحرموا مجالستهم والتعامل معهم

٥- إن العلماء في الأندلس رموا الفلاسفة في الأندلس بالردة والزندقة

٧- إن العامة والشعراء وقفوا موقفاً عدائياً من الفلسفة والفلاسفة ونابذوهم وطاردوهم وأحرقوا كتبهم .

٨- لا يعرف على وجه التحديد متى دخلت الفلسفة لبلاد الأندلس ، ولكن يمكن أن يقال أنها دخلت عن طريق بعض علماء الكلام والطلاب الذين تأثروا بها في المشرق ، وأنها دخلت متدثرة بعلم الطب والفلك والرياضيات.

٩- إن الفلاسفة في الأندلس كانوا يعيشون حالة غربة ونكد وضيق ونبذ في المجتمع ، وتخوف من بطش الناس والحكام.

١٠- إن الخلفاء والأمراء في الأندلس تباينت مواقفهم من الفلاسفة بين المؤيد وبين المحارب لها وإن كانوا -في الجملة- كارهين محاربين لها وأشد الدول في ذلك دولة الأمويين والمرابطين وأسهلهم في ذلك دول الطوائف وبعض عصر دولة الموحدين.

١١- إن ولاة الأمور –عبر التاريخ- لهم اليد الطولى في تغيير المنكرات والبدع أو التوطين لها وفرضها ، وهذا مما لا شك فيه ، فإذا صلح الحاكم أصلح الله على يديه الكثير.

الفهارس

آراء ابن العربي الكلامية ، د. عمارطالبي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (الجزائر)

أبجد العوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، صديق حسن القنوجي، تحقيق: عبد الجبار زكار ، دار الكتب العلمية (بيروت)

ابن باجه وآرؤه الفلسفية . د. زينب عفيفي ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر (الأسكندرية)

ابن رشد في كتاب فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال ، د. طراد حمادة ، دار الهادي (بيروت) لبنان. ط. الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م

ابن طفيل وقصة حي بن يقضان ، عمر فروخ ، الطبعة الأولى (بيروت) ١٣٦٥هـ ١٩٤٦م

الإحاطة في أخبار غرناطة ، للسان الدين بن الخطيب ، تحقيق: محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، ط. الثانية ١٣٩٣ ، ١٩٧٣

أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني ، طبع اللجنة المشتركة بين دولتي الإمارات والمغرب .

أعز ما يطلب ، أبو عبد الله محمد بن تومرت ، تحقيق عمار طالبي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ١٩٧٥م (الجزائر)

الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين ١٦-١٧ ، محمد رزوق ، ط. الثالثة ، أفريقيا الشرق ١٩٩٨م

بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس ، لأحمد بن حيان الضبي ، تحقيق: إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ،ط. الثانية ١٤١٠هـ ١٩٨٩م) .

بهجة النفوس وتحليها بما لها وما عليها ، عبد الله بن سعيد الأزدي الأندلسي ، الطبعة الثانية ، دار الجيل (بيروت) ١٩٧٢م

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، لابن عذارى المراكشي أبو عبد الله تحقيق: ليفي بروفنسال ، إحسان عباس (بيروت) امبريسي هوثي

تاريخ الفكر الأندلسي، آنخل جنثالث بالينثيا ، ترجمة: حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية)

تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون ، دار العلم للملايين(بيروت) ط. الثالثة ١٩٨٠م

تاريخ الفلسفة في الإسلام ، دي بور ، ترجمة: د. عبد الهادي أبو ريده ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الرابعة. ١٩٥٧م

تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ، محمد رضوان الداية.

التربية الإسلامية في الأندلس ، خوليان ريبيرا ، (حضارة الإسلام في إسبانيا ، امريكو كاسترو ، ص ٣٤-٣٧ ترجمة: د. سليمان العطار. دار الثقافة (القاهرة) ١٩٨٣م)

التعريفات ، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي (بيروت) ط. الأولى١٤٠٥هـ

التهجير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكيين ، د. محمد حتامله ، ط. الأولى ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م ، نشر بدعم الجامعة الأردنية

جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي ، تحقيق: إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ، ط. الثالثة ١٤١٠هـ ١٩٨٩م

الحلل الموشية لمؤلف مجهول ، تحقيق:سيل زكار، عبدالقادر زمامه، (الرباط) ١٩٧٩م دار الكتب العلمية ، ط. الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م)
الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين . د. يوسف على العريني ، طبعة مكتبة الملك عبد العزيز العامة ، الأولى ١٤١٦ .
الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس ، د. سعد البشري مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية، ط. الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٣م
حي بن يقضان ، لابن سينا وابن طفيل والسهروردي ، ت: أحمد أمين ، دار المعارف (مصر) ١٩٥٩م
درء تعارض العقل والنقل ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية ، ت: محمد رشاد سالم ، دار الكنوز الأدبية (الرياض) ١٣٩٠هـ
دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا ، مع نشر وتحقيق رسائل ابن العربي ، د.عصمت عبد اللطيف دندش ، دار الغرب الإسلامي ط. الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م
دولة الإسلام في الأندلس ، لمحمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ،ط. الرابعة ١٤١٧هـ) .
الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، إبراهيم بن على بن فرحون ، تحقيق: د. محمد الأحمدي، أبو النوردار الكتب العلمية (بيروت)، وطبعة مكتبة دار التراث (القاهرة)
ديوان ابن عبد ربه ، لأحمد ابن عبد ربه الأندلسي ، ت: د. محمد رضوان الداية ، دار الفكر ط. الثانية ١٤٠٧هـ (دمشق).
الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، لأبي عبد الله محمد ابن عبدالملك المراكشي تحقيق: إحسان عباس ، محمد بن شريفة ، دار الثقافة (بيروت) ومطبوعات أكاديمية المملكة المغربية
روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، ط. سعيد الطبطبائي الثانية ، سنة ١٣٤٧هـ
سير أعلام النبلاء ، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، حسين الأسد ، مكتبة الرسالة ، ط. الأولى ١٤٠١هـ ١٩٨١م
شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، عبد الحي بن أحمد الدمشقي، دار الكتب العلمية (بيروت)
صحيح ابن خزيمة ، محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري ، ت: محمد الأعظمي ، المكتب الإسلامي (بيروت) ١٣٩٠هـ
الصفدية ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية ، ت: محمد رشاد سالم ، ط. الثانية ، ١٤٠٦هـ
صلة الصلة لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم الثقفي الغرناطي، تحقيق: عبد السلام الهراس ، سعيد أعراب ، طبع وزارة الأوقاف المغربية ١٤١٦هـ ١٩٩٥م)
الصلة ، لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، تحقيق: إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، (القاهرة) دار الكتاب اللبناني ، (بيروت) ط. الأولى ١٤١٠هـ ١٩٨٩م
طبقات الأمم ، صاعد الأندلسي ، طبعة (بيروت) سنة ١٩١٢م
طبقات الحفاظ ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، دار الكتب العلمية (بيروت) ١٤٠٣هـ

طبقات المحدثين ، محمد بن أحمد بن قايماز الذهبي ، ت: د. همام سعيد ، دار الفرقان (عمان-الأدرن) ط. الأولى ١٤٠٤هـ
العواصم من القواصم ، للإمام أبي بكر بن العربي ت: عمارطالبي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (الجزائر)
عيون الأنباء في طبقات الأطباء، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة ، ت: نزار رضا ، دار مكتبة الحياة (بيروت)
الغصون اليانعة في محاسن شعراء المئة السابعة ، لابن سعيد علي بن موسى الأندلسي . ت: إبراهيم الأبياري ، ط. الثالثة ، دار المعارف (مصر)
الفصل في الملل والنحل ، لأبي محمد علي بن حزم، تحقيق: د. محمد نصرو ، د. عبد الرحمن عميرة ، دار الجيل (بيروت) ، دار القلم
القاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ،دون بيانات أخرى للطبعة.
قلائد العقيان في محاسن الأعيان ، لأبي نصر الفتح بن محمد بن خاقان ، تحقيق: محمد العناني ، المكتبة العتيقة ، (تونس) ١٩٦٦
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، مصطفى القسطنطيني الرومي ، دار الكتب العلمية (بيروت) ١٤١٣هـ ١٩٩٢م
لسان العرب للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور، طبعة دار صادر ، (بيروت).
مجلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، بحث بعنوان: فلسفة ابن باجة للدكتور بركات محمد مراد ، جامعة الكويت ، الحولية الثاني والعشرون ، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م
مجلة المعهد المصري في مدريد ، المجلد الثالث ، ١٩٧٣، ١٩٧٤م
المعجم الوسيط ، دار الفكر (بيروت)
معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ، ت: بشار معروف ، شعيب الأرناؤوط ، صالح مهدي عباس. مؤسسة الرسالة ، ط. الأولى ١٤٠٤هـ (بيروت)
مصنف ابن أبي شيبة ، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبه ، ت: كمال الحوت ، مكتبة الرشد (الرياض) ١٤٠٩هـ
المغرب في حلى المغرب ، لابن سعيد الأندلسي، تحقيق: شوقي ضيف، (القاهرة) ط. الثانية ، ١٩٦٤م ، دار المعارف مصر
المقتبس من أنباء أهل الأندلس ، لابن حيان حيان بن خلف القرطبي ،
تحقيق: د. محمود علي مكي ، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية(القاهرة) ١٤١٥هـ ١٩٩٥م ، وجزء من تحقيق د. إسماعيل العربي ، منشورات دار الآفاق الجديدة (المغرب) ط. الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٠م . وكذا طبعة نشر شالميتا وآخرون ، المعهد الأسباني العربي للثقافة ، مدريد ١٩٧٩م.
مقدمة ابن خلدون ، لعبد الرحمن بن خلدون الحضرمي ، دار القلم (بيروت) ط. الخامسة ، ١٩٨٤م
المرقبة العليا فيمن يستحق لقضاء والفتيا، لأبي الحسن النباهي، تحقيق: د. مريم الطويل ، دار الكتب العلمية (بيروت) ، ط. الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م

الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، إشراف د. مانع الجهني ، إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ط. الثالثة ١٤١٨هـ .
المعجب في أخبار بلد المغرب ، عبد الواحد المراكشي ، ت: محمد سعيد العريان ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية (مصر)
معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، دار الفكر (بيروت)
الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون . د. لويي كادرياك. ترجمة: د. عبد الجليل التميمي ، منشورات المجلة التاريخية المغربية وديوان المطبوعات الجزائرية ، تونس ١٩٨٣م) ،
مدنية المسلمين في أسبانيا – جوزيف ماك كيب ، ترجمة د. محمد تقي الدين الهلالي ، مكتبة المعارف ط. الثانية ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م
مفاتيح العلوم ، للخوارزمي ، تقديم: عبد اللطيف محمد العبد ، نشر النهضة العربية (القاهرة) ، المطبعة الكمالية.
نفح الطيب ، لأحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر (بيروت) ، طبعة جديدة ١٩٩٧ ، وقديمة ، ١٩٦٨
نيل الابتهاج ، أحمد بابا التنبكتي ، نشر عبدالحميد الهرامة ، ط. الأولى ، كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ليبيا ١٩٨٩م. وط. الأولى ١٣٢٩هـ مطبعة السعادة (بمصر)
الهجاء في الأدب الأندلسي ، د. فوزي سعد ، دار المعارف ، (مصر)
الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي أفريقيا ، د. محمد ماهر حمادة ، مؤسسة الرسالة ، ط. الثانية ١٤٠٦هـ ١٩٨٧م
وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، أبو العباس أحمد بن خلكان تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر مكتبة النهضة المصرية ، وتحقيق: د. إحسان عباس ، دار صادر ، دار الثقافة (بيروت) ١٩٦٨، تحقيق: د. مريم الطويل ، دار الكتب العلمية (بيروت) ، ط. الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م